احمد زكي افيوني



« ان لله رجالا اذا ارادوا اراد »

حديث نبوي

يطلب الكتاب من المؤلف والمكاتب العامة

ثمن النسخة ربع ليرة سورية

وللطلاب والعمال : خمسة عشر قرشاً

طرابلس : — ايلول سنة ١٩٣٥

ذكرى البعث النفسي وليومان احدمها الى الاخ الكريم الاستاذ فوزي قلعجي عربون اخاء واعجاب
بيروت في ٤ آذار ١٩٤٨
المؤلف
احمد زكي افيوني

الانانيات

بقلم : احمد زكي افيوني

فهرست الكتاب

طرابلس : — ايلول سنة ١٩٣٥



الاهداء

الى النفس التائهة الحيرى المتطيرة في الحياة.

الى الانسان المتشكك الجاحد لكل عقيدة .

الى الشباب المتشائم القانط حتى من الموت .

الى قومي الذين يعاركون البقاء والفناء .

الى الانسانية المظلمة النفس الخابية الامل .

الى الارواح المتطلعة الى المستقبل باعين مغمضة ، ببصائر منطفئة ، وقلوب خرساء .

الى هؤلاء جميعاً اهدي رسالتي هذه !

احمد زكي قبولي

٢

مقدمة الرسالة

تغمر الحياة والعالم الانساني في هذا العصر، عاصفة حالكة الاهاب، من الحيرة والشك والجحود، الحيرة في الماضي، والشك في الحاضر، والجحود في المستقبل الوشيك أو البعيد، والى جانب هذه الغمرة تسود روح التشاؤم لناس، ويمن القنوط المبيد في النفوس امعانا، ينذرها بالابادة المحتمة بالفناء الابيد.

في هذه الغمرة التي تجلبب نفس الانسان وتلابس الحياة. اوجه هذه الرسالة الى الشباب العربي اولا، والى الانسان اخيراً، راجياً ان احمل الى قومي الحيارى ثم الى النفس الانسانية التائهة روح العزاء والايمان والقوة، وان فتح للاحياء الأموات كوة من الامل الاخضر، يطل منها النور على دخائل النفس المعتمة، وسبل الحياة الظلماء الاليمة، فينير المسالك، ويبعث روح الايمان بالبقاء، ويستفز غرائز الكفاح للحياة الرغيدة وللمستقبل البهيج، كما اطل هذا النور على نفسي القانطة فار اعماقها وجدد فيها الايمان المخذول فانبعثت من جديد الى الكفح والعراك بعد عصي اليأس ومديد الخمول.

لقد مرت بي غير مرة غمرات من اليأس والقنوط، واجتاحتني عواصف من التشاؤم البالغ ودهاني من الشك ادهاه وامره، ثم استحال الشك لي جحود . . . الى جحود كل شيء، الى جحود الروح

والمادة الى جحود الحياة والموت . الى جحود النفس الحية الشاعرة والذات الانسانية الكائنة ؛ وطال امد هـذا الجحود زمناً فسيحاً ولكن غيومـه لم تلبث ان تبـددت اخيراً ، ازاء شمس الحقيقة المشرقة ، ازاء انوار الفكر الثائر والمعرفة المثلى . والايمان بالذات ، وبفضل الثورة على النفس الجاحدة المتشائمة المتطيرة . وعلى انقاض هذا الجحود الاليم الماضي شيدت اليقين الجديد المكين .

قد يرى بعض دعاة التفكير المغرقين في التشكك والتشاؤم — تبريراً لمسلكهم في الشك — ان نزعات الشك من مميزات « الفكر الحر » منذ القديم ، وان من شأن المفكر ان لا يجزم بأمر ولا يؤمن ايماناً باتاً بحق ، مهما توفرت البراهين على انه حق ، ولقد كان هذا شأني ايضاً في الشك كما هو شأنهم ، ولكنني لم يبق لي ان ارتاب اليوم بان التفكير الذي يلازم الشك على هذه الصورة ، او بالاحرى يحمل الشك على ملازمته له ، ان هو الا تفكير سطحي محدود بل تفكير مريض لا يصلح لاكتشاف الحقيقة ولا تصلح لا الحقيقة ولا الحياة له ! ...

نعم ليس لي أن ارتاب بان التفكير العميق لنافذ الى اغوار النفس والحيـاة لا مناص له من الايمـان بوجود الروح الانسانية والكيان الذاتي الفردي ، ولا مناص له من الوثوق والاتصال بجمال النفس وجمال الحياة وخلودها ولا مناص له من الانصياع للعمل في سبيل تخليد الحياة وحمل ميراثها الفكري والمادي الى الجيل الجديد الوارث ولا مناص له من الاستقرار الى اليقين والحقيقة والى الحرص على البقاء حتى اللانهاية

٤

هذا ما جربته وخبرته في نفسي وهـذا ما اهتديت اليه بعد التجربة القاسية الرهيبة . . . حقاً لقد كانت التجربة جـد رهيبة ومرعبة ، وهي اشـد هولا ورعباً لو اعترضت جميع الناس ؛ جميع هؤلاء الاحياء ولو انها انتهت بهم الى غير ما انتهيت اليه ، اعني الى ما ينتهي اليه بعض « القانطين » التعساء هؤلاء الذين يدفعهم اليأس والجحود ؛ لاستعجال مصيرهم في الوجود قبل موعده ، الذين يصرعون انفسهم بايديهم ؛ الذين يموتون موت الجنون والذلة ؛ الذين ينتحرون ا فيتساقطون صرعى وشهـداء ، والحياة ما تزال تختلج في انساجهم وعروقهم ، في افئدتهم وانفسهم اختلاجا صارخا مهيباً !

تالله انها لميتة خاسرة موجعة كئيبة اعترف انني طالما كنت افكر بها وطالما كنت اهم بها ؛ في غير موقف من مواقف اليأس المفحم ، وانها ليمين صادق ، كم عولت على الموت وازمعت الانتحار لا كما ينتحر اكثر الناس ، لاخفاق في الحب الحيواني الفاني او فشل في العمل والعيش ؛ او خيبة في ابتغاء المجد الشخصي ، بل انني ازمعت الانتحار غيرة يأساً من الانسان وجحوداً للنفس الانسانية وقنوطاً من الحياة والدل والحب الانساني !

لقد خضت غمارات الحياة في ربيع عمري وتذوقت لذاذاتها ومرارتها وبلوت نعيمها وشقاءها ، وجرعت الحلو والعلقم من كؤوسها المترعة ورشفتها حتى آخر الثمالة ، واحرزت ما لا يحرزه شاب في عمري ، وفي معرفتي الضئيلة المحدودة ؛ ولكنني لم اعتم ان سئمت كل شيء فتساوى لدي كل شيء ايضاً ، تساوى لدي النعيم والشقاء واليسر

والعسر ؛ والعطاء والحرمان ، والحرية والاسر والفناء والخلود ، انني آمنت بكل شيء ثم جحدت الكل ايضاً ، حتى لقد جحدت النفس والحياة والخالق وجحدت البقاء والخلود !

بيد ان النفس لم تكن لتستلم لهذا الوهم الطاغي ولم تستكن اليه الا ريثما تثوب الى العقل البصير ، وبمعول هذا العقل محوت اوهام الماضي وقيوده وبددت مخاوف الحاضر ومباذله ؛ بهذا العقل ثرت على نفسي القانطة واحلامها المغرية المخزية فحررتها منها ، بهذا العقل افتتحت آفاق الحياة الجديدة ، افاق الايمان بالذات والبقاء والحياة. فانطوى الماضي مع الحاضر ، وانطوت اشباحهما واحلامهما الخاطئة الضالة ، وتجلى فجر الحقيقة الجديدة المضيئة ، فجر الغد المنير ، فجر العهد المقبل : عهد الإنسان الحي العارف العامل . . . الانسان القوى الاناني العدل !!

كذلك آمنت بالحياة من جديد وبرسالة الحياة الخالدة ؛ وعرفت انني اعيش لافكر ، وافكر لاعمل ، واعمل لاخلد الحياة ؛ وكذلك عرفت ان الخلود للحقيقة وان الحقيقة تتجلى في المعرفة والانسان والعمل للخير والاحسان ، وفي الحقيقة يتجلى الله المبدع الحكيم ، والنفس الانسانية الكاملة الخالدة ، تلك النفس المجدة العاملة في سبيل التهذيب والتطور السائرة ابداً نحو النمو والرقي ، والى الامام والكمال الى معارج الحق والعدل والحب الاسمى الخالد .

كذلك آمنت بمثل الحياة العليا وبرسالة الحياة القوية وكذلك اشرق نور الحقيقة في نفسي وفي الوجود البهيج ، وليس ابهج من الحياة مع المعرفة والايمان والقوة والانانية العادلة .

الانانيات

القسم الاول

في اعماق اليأس والشك

٧

الحقيقة الانسانية

ولقد ارى الحيوان حينا ظالما
لكن ارى الانسان منه اظلما

كتب هذا المقال في دمشق سنه ١٩٢٩ في ساعة من ساعات اليأس العميق ، وقد نشر في جريدة الشعب . يومئذ بتعديل طفيف ، وهذا اصل المقال :

كنا في ليلة سامرة ؛ نتداول احاديث ، فيها الجد واللهو والجليل والتافه ، وفي المجالس الخاصة يتخطى الفكر حدود الاوضاع والتقاليد ، ويطل على جو حر خالص ، تعبق فيه الحرية المطلقة ، الحرية المجردة عن كل كساء وحجاب شفاف او غير شفاف وتبدو الحقيقة الانسانية بامامها عارية عراء الاشجار التي انتثرت زهورها واوراقها ، ونزع عنها الخريف ريشها المصفوف فتركتها عاصفته مجردة ، ظاهرة منها حقيقة مادتها الحيوية المنكمشة المتجعدة ظهوراً جلياً ، ليس ما يحجبها بعد عن الابصار والانظار

وكذلك ظهرت لدينا المساء الحقيقة الانسانية واضحة مثل ذلك الوضوح لا اثر للتأدب الكاذب فيها ولا للمجاملة والتصنع مما يتلبس به الناس في مجتمعهم ، ذلك التأدب والاناقة اللذان يزعمونهما في الحياة العامة وهم ابعد عنهما واقصى ، في ريب وشبهات لا تنتهي ولا تتفق مع المظاهر المصطنعة في شيء !

وكان رفاق السمر مشدوهين بالحقيقة الانسانية مفتونين بالحرية

وقداوشكوا ان يكونوا «اباحيين» لولا غرائزهم التي لا تلبس بعد اغرائهم بالاباحة ان تعود فتردهم الى الانانية ، فكانوا يستهينون بحقوق الافراد والمجتمع — وهم جزء منه — ثم يغلبهم حب الاستئثار دون الغير فينقلبون الى الحرص على متعهم ، وكذلك جماعات الناس قاطبة — في الاغلب لا تستطيع ان تصدق في اباحتها التامة ولا في انتظامها الدائم ، فهم ابداً يمنعون ما يملكون ، ويطمعون بكل ما في ايدي الضعفاء والمحرومين...!

تلك هي الاباحية الكاذبة — او قل الانانية المتلبسة بالاباحية — تسيغها نفوس الناس ويعيشون بها دون انكار ، وانها للصوصية اكثر منها اباحة ، وانانية اكثر منها اشتراكية ، ونفعية اكثر منها شيوعية ، وانها سلب محض واحتيال نافذ يتوسل اليه تارة بالنظام او بالعرف ، وطوراً بالفوضى او بحق القوة وغير ذلك من الوسائل ، وقد لا يجد النظام المقرر والقانون المحدود الى عقاب هذه الاجرام والسيئات الاجتماعية سبيلا الذي يجده الى اجرام تافهة ، نشأت عن حاجة ماسة او فقر مدقع ، او عاطفة ثائرة سدت على عقل الفرد طريقه وحجبت نوره وسلطانه عنه فهوت بالانسان الى الخطيئة غير مختار

* * * *

وشدهت بهذه الخواطر ، ورأيت في ذلك سبباً للتفكير العميق فذهلت عن متجه الاحاديث يتداولها الرفاق متتبعاً شيئاً عرض لذهنيتي ، فاستعدت ذكريات شتى ، وصوراً قديمة مطموسة ووقائع حفلت بها سنوات خلون من هذا العمر ، ذكرت ذلك ثم عدت لي تمثل صور اخرى اخيلها وترسمها مخيلتي ، على رجاء ان تكون

سائدة هذا المجتمع الانساني في مستقبل قريب او بعيد ، تمثلت ذلك امامي ثم قابلت بين ماضي « الجمية الانسانية » ويومها الحاضر وبين الغد الذي قد يرجى ان يحفل بالصلاح والرغد ، فما استطعت ان ارجح الامل بالخير ولا قدرت للاصلاح الذي اعتقد به ظفراً ، وقنطت قنوطاً مفحماً من كل تبديل وتغيير ، واكاد اوقن الساعة ، ان السكون بل العدم خير من هذه الاضاحيك التي تحفل بها الحياة ، والمساخر التي يقوم بها الاحياء ويصبغونها صبغة العقائد والقداسة او النظم والعرف او المبادىء والمثل السامية .

فمنذ القديم اخـذ الناس بالتهذيب الاخلاقي والثقافة الادبية وقد ظلت النخبة النيرة من كل امة تسيطر على الروح لشعورية في المجموع وتسيرها الى مقاديرهـا وبلغت المبادىء التهذيبية اليوم – نظرياً – حدها الاقصى حتى قاربت ان تنضج وتدرك كمالها ، ولكن تلك النفس البشرية لم تنطبع بعد الا بقليل من آثار الثقافة الصالحة وظلت مستعصية في الواقع على مرامي التهذيب والاصلاح الصحيحة .

عليك بالانسانية ابحثها افراداً وجموعاً ، فلست تجدها قد ادركت من هذه الثقافة القدر الواجب ، وكلما مات نحو البيات التي نشأت اجتماعيتها حديثاً ايقنت ان لاقيمة عملية للمبادىء والعقائد والنظم تجاه « الحقيقة الانسانية » الفردية والجماهيرية ، انما كل امرىء في هـذا المجتمع – والفرد مثـال المجموع – سر محجوب يغرك منه مظهره وتجمله بما اعتادته ان تجري عليه بيئته ، فان



كُشفت لك عن حقيقته التجارب الصادقة والمفاجآت فقد يهولك منها شذوذها وغرابتها ويروعك انها ماسمت في غرائزها عن غرائز الحيوان الاعجم والطير الكاسر بل قد تسبق طباع الضواري في الاستهانة بالفتك ، والاحتيال على الاعتداء بالطرق « الانسانية » التي تنجح اكثر من المجابهة ، تلك طرق الغدر والخيانة والدسائس والخديعة اللينة الملمس الوافرة الضحايا !

وانظر بعد هذا ، لعمرك ماذا افادت الاديان هـذا الانسان المتسم بالنطق والحكمة – او بكلمة اخرى هذا الوحش المتمدين – من تهذيب ورقي ؟ وماذا افادته قوانينه وجمعياته المتنوعة ؟ وماذا افادته فلسفته وتفكيره وثوراته ؟ ؟ انها جميعها برغم خطرها وشيوعها في جوه وتملكها منه ومنها ، لم تبدل منه سوى الوان اثوابه او اسمائها فهو ما يبرح مضطراً الى تبديل تلك الاسماء في كل قرن او بضع قرون باسماء والوان مستحدثة ؛ بدون ان يتناول ذلك التطور جوهر الحقيقة الانسانية بخير او بشر ...

تعال الى طوائف المتدينين فماذا حققوا بينهم من مبادىء الرحمة والعدل والتعاون البريء المثمر

تعال الى الاجتماعيين فماذا استطاعوا توطيده بين قومهم من اصلاح تهذيب وتبديل .

تعال الى الثورات فهم انكشفت ثمراتها واهوالها الا عن ابدال طاغية بطغية مثله وخضوع الجموع الدائم الى الجهالة والحماقات والسفاسف

تعال الى الاحزاب فماذا احسنت غير التضليل والتغرير بالجماهير سراً

وعلناً تناحراً على السلطان؟

****

وبعد ان هذه كلها ، لفوضى واية فوضى ؟ ولكنها تتخذ صبغة القداسة والنظام ، فيطمئن الناس اليها ظاهراً وهم في الواقع وفي الحق منصرفون عنها في حياتهم في جدهم ولهوهم في اطماعهم ورغباتهم في ملاذهم وشهواتهم الى الغرائز الانانية الوحشية التي هي وحدها تسيرهم بالفعل فهم يقارفون هذه المتع كل يوم وكل ساعة ويسمونها بالسمات التي ينكرها الفكر العادل بصوت ضئيل خافت تحجبه الطبول والتهاليل وانات الضحايا والصرعى وقهقهة الظافرين ... !

وبعد ... افلا يقنط الفكر العادل ، من اصلاح هذا المجتمع المغمور بالاحزان والاوصاب المشوه بالعلل والجنون المفتون بالحماقات والقوة فاذا هو قنط افليس له عذره الحق ؟؟

بلى ... بلى ! ولكن لعل عصر العمل ، عصر الانقلاب الاجتماعي المقبل الذي يقوده الفكر الثائر كفيل بانقاذ هذه الانسانية وتحريرها وتطبيق الاصلاح الحقيقي الكامل فيها

١٢

عقلي ونفسي

قطعة موشح نظمت في طرابلس في صيف سنة ١٩٣٤ ، وكانت الساعة التي نظم الموشح بها، من اشد ساعات القنوط والجحود هولا .

١

سرت في اعماق نفسي ابتغي كشف الحقيقة
سرت اعواما طوالا سالكا كل طريقة
تهت من طول مسيري بين أدغال عميقة
لم اجد للحق معنى غير اهواء عريقة
تاهت النفس وقالت ضل « رواد الحقيقة »

ليت عقلي لم يكن لي
ليت نفسي لم تكن لي

٢

صحبت نفسي الشبابا وتخبرت الثائرينا
وبلوت الهول حينا وبلوت السجن حينا
كم عزفت الحق لكن لم يرق عزفي المثينا ...
سخرت نفسي بنفسي سخرت بالساخرينا !
يئست نفسي وقالت ضل « رواد الحقيقة »

ليت عقلي لم يكن لي
ليت نفسي لم تكن لي

٣ .

ضل عقـلي في الطريق　　شدهت نفسي بنفسي
صـار في عقـلي مس　　خـولط المس بحسي
فغـدت نفسي حـيرى　　وغـدا التفكير يأسي
عشت بالجهـل رغيـداً　　جاء بالعرفان بؤسي ...
قنطت نفسي وقالت　　ضل « رواد الحقيقة »
ليت عقلي لم يكن لي
ليت نفسي لم تكن لي

٤

ملت للزهـد اخـيراً　　ونشدت الصالحينـا
رمت ان احيي خمـولا　　طاويا كل السنينا
بين « اشباح » اقيمت　　لضـلال الناصبينـا
بيد ان العقـل عاف الـ　　جهل واختار المنونا !
فشـوت نفسي وقالت　　ضل « رواد الحقيقة »
ليت عقلي لم يكن لي
ليت نفسي لم تكن لي

٥

ليت عقلي لم يرم عن　　اسره يومـا براحا
ليت نفسي لم تثب للمجد　　تهواه صراحا
ليت اوهامي استمرت　　فنفت حججي الصحاحا

ليت ثوراتي ظللت نزوة تجرع راحا ...
ثملت نفسي وقالت ضل « رواد الحقيقة »
ليت عقلي لم يكن لي
ليت نفسي لم تكن لي

٦

ليتني استبقيت جهدي للذاذات الطليقة
ليتني آثرت نفسي بالجهالات الصفيقة
ليتني قيدت عقلي بالضلالات العتيقة
ضاع عرفاني وجهلي مضت النفس الزهوقة
بعثت نفسي وقالت ضل « عباد الحقيقة »
ان عقلي لم يكن لي
ان نفسي لم تكن لي

١٥

الانانيات

القسم الثاني

بين الشك واليقين

١٦

بين الشك واليقين

من انا ؟ من اين صدرت ؟ كيف أسير ؟ الى اين انتهي ؟

١

من انا ؟؟ كلمة تنطلق من كل فم ، ومن فم كل كائن ؛ كل ذي حياة يسائل نفسه هذا السؤال : من انا ومن اين صدرت ؟ و كيف اسير ؟ والى اين انتهي ؟ ...

الانسان واشباه الانسان من الاحياء ، كل لا بد ان يسائل نفسه ذلك ، ناشداً « الحقيقة » فيؤمن او يجحد او يشك وثمة درجات وانواع متفاوتة للشك والايمان والجحود تختلف بواعثها وتتباين مصادرها تباين الناس في التفكير والاحساس والمواهب واكتساب المعرفة ...

فالانسان اذن انما يتراءى وجوده — اذا كان له وجـود — في هذه المظاهرة الثلاثة : الشك ، الجحود ، الايمان . ومن لم يؤمن او يجحد او يشك — عن شعور ومعرفة ، لا عن تقليد — لم يكن له لا كيان ولا وجود في عالم الوجود .

٢

من انا ؟؟ كلمة او صرخة تدوي في كل نفس ، وطالما القيت بثلها في دخائل نفسي ، في وحشة الليل الرهيب ولدى الفجر المشعشع ، والصباح المنير ، طالما القيت بها الى نفسي ، لدى يقظتها المتحولة الى رقاد ؛ ولدى رقادها المتحول ابـداً الى يقظة ، وفي كل فترة من

الفترات المبهمة التي تتخلل اليقظة والرقاد

من انا ؟ وهل انا كائن موجود ؟؟

كذلك ما برحت اسائل نفسي في الماضي والحاضر كما يسائل كل كائن نفسه ؛ كنت اسائلها – ولست بسائل غير نفسي وحدها عني – هذا السؤال الدهري ، وانا في غمرات طامة من الشك.شك في وجود كياني الذاتي ، في وجود روح تخفق فيه ، في وجود عقل ادرك به ما ارى وما اسمع وما المس ؛ شك في الحياة والاحياء جميعاً ، شك يملأ رحاب نفسي ويغمرها ذهولا وريباً ، ويشدهها عن كل شيء الا عن نفسها وشكوكها .

٣

نفس حية خفاقة نزوعة الى البقاء حريصة عليه ، وشك قوي غلاب متغلغل في كل شيء ، كلاهما يتصارعان ، كل يبغي ابادة الآخر ، الشك قوي غلاب انه واقع ملموس مسيطر على كل وجودي ، انه واقع مشهود لا ريب فيه ولا مرد له ، انني احس به والمسه في دخائل نفسي ، كما احس واشعر بنفسي ، بوجود كياني الذاتي وبالصراع المستمر بينهما ، منذ انارت المعرفة نفسي لاول عهدها بالنور

انني اشك في نفسي ؛ بل اجحدها وانا اراها ببصري وبصيرتي معاً ، ومن جحد نفسه جحد الحياة كلها ، وجحد الخالق الاول ، والازل المنبعثة عنه والسائرة اليه ؛ فالجحود يحترب مع الايمان والايمان يحترب مع الشك ، والشك يكافح الاثنين ابداً ؛ ولكن الغلبة الاخيرة لا بد ان تكون لليقين ...

٤

عدت الى نفسي انقب وافتش ... ايهن الجوهر المنبثق من الازل ، الخالد في الازل وايهن العرض الزائل ، النفس ام الشك ام الجحود ام الايمان واليقين

عدت الى نفسي والى الدهر البعيد السالف — وبين نفسي والدهر صلة لا تنبت لها آصرة – عدت الى نشأة الحياة الاولى ، فالفيت « الازل » يطل على السديم فتنبثق النفس مع الحياة من الازل ، ثم تسير النفس والحياة معاً ، وينبعث في اثرهما الشك والالم فتولد المعرفة ويولد الجحود ؛ وبالالم والشك والجحود واليقين ، يتكامل الانسان ويتقدم دائماً نحو الحقيقة والكمال .

عدت الى نفسي احاورها واقاضيها الحقيقة فالفيتني ابصر فيها امثولة الحياة ورمزها الازلي ، ان في النفس الجوهر والحقيقة ، وفيها اليقين والايمان وقد كان الجوهر قبل ان يكون العرض الطاري ، وكانت الحقيقة من قبل الشك والمعرفة ، اذن فالنفس اصل تتصل مع الحقيقة بالازل الخالد ، اذن هما خالدان مع الازل ، اما ما بقي من عرض موهوم فهو زائل لا حياة له ولا بقاء ، هذا اليقين وليس بعد اليقين من شك .

٥

فكيف يصح اذن ان اشك في نفسي بعد هذا اليقين ؛ وان انكر وجودها ؟ الست قد اعترفت بوجود الشك نفسه ؟ الست قد اعرفت ايضاً بحلوله في نفسي وبالمهاله ؟ اذن انا في اعترافي هذا بوجود الشك

وبشعوري به اعترف بوجود كياني الذاتي وبان الشك طاريء عليه اذن فالنفس موجودة من قبل الشك ، ان النفس جوهر ثابت والشك عرض مشكوك فيه ، اذن انا كائن موجود رغماً عن الشك، والبرهان على ثبوت وجودي شعوري بنفسي وعقلي ؛ شعوري بالشك الذي يساورها حين أشك ، وبالايمان الذي يلابسها عندما آمنت، وبالجحود ان يغلبها الجحود — او الفناء

اذن انا على كل حال ، كائن موجود ذو ذاتية حية راهنة ؛ لها رأي ولها عمل وانتاج لها بداية انبثقت منها ... وانتهاء تصير اليه .. ؛ هي ذاتية تشغل حيزاً في الفضاء الفسيح الممتد الاطراف الى اللانهاية ، انها « ذاتية حية » تحيي وتتفاعل مع اجزاء الوجود الحية الاخرى ؛ انها « الوحدة المادية » الصغرى في العالم الازلي ؛ هذه النفس الانسانية امثولة الحياة ورمزها الخالد من منشأها القديم الى يومها الراهن

هذا الكائن الحي . هـذا الفرد الانساني هو « انا » انا الانسان السائر مع الحياة الى الامام والكمال .

هذا اليقين وليس بعد اليقين من شك فاطمأني ايتها النفس ! اطمأني وارجعي الى ربك راضية مرضية .

٢٠

الانانية العادلة

لا . . لا . . يارفاقي ، ليست الحياة باطلا وليس من شيء
في الحياة بباطل غير الجهل والخوف والغرور . . .
فلنبد غيـلان الحياة الثلاثة لنظفر بالحياة كامـلة
وسامية وعادلة .

١

بلى ايها الازل . . . لقد عرفت نفسي باليقين فعرفت منبثقي الاول ومصيري المقـدور فانا الانسان الحي المتجدد السائر مـع الحياة الى الكمال وفي الكمال يحط الركب رحاله وينتهي سيره .

كذلك شاء الازل المبـدع الاول في الحياة ، المجـدد الحياة والاحياء وللازل الابـدي مشيئته الاولى والاخيرة ، عنها صدرنا وبها نحيي واليها المعاد .

بلى لقـد آمنت وايقنت . . ايها الازل الحـالم ولكن عقلي يحب ان يطمئن ، بعد جحوده الشك واخـذه باليقين ، يحب ان يعرف ايضاً ، كيف جئت ؟ وكيف اسير ؟ واين انتهي ؟ ؟

ويهمس المبدع الازلي : لقد جئت من الازل من « اللافناء » وستعود اليه بعـد « الفناء » وحسبك ان تعرف نفسك وتحسن

اداء رسالتك في الحياة ، فهي رسالة الازل تتمثل بك . وكلمة الخلود تنطلق منك واليك ، هي ارادة الله في الحياة »

بلى ايها الازل الخالد .. لتكن مشيئتك التي اردت ، لقد حق علي ان اعرف نفسي واوقن بها وان احي للحياة الخالدة ابداً وعند رجوعي الى منبثق الازلي ، ادرك سر مصدرى ومسيري ورجوعي . بعودتي اعرف : لماذا جئت !.. وكيف حييت .. واين انتهيت .. فالسبيل الطويل لاتحد بدايته ، وان استقام قبل بلوغ خاتمته وادراك نهايته .

ايها السر الازلي : لقد اردت لنا الحياة فلتكن الحياة التي اردت لتكن الحياة البهجة المشرقة المتجددة بارادتك الازلية حتى الابد ، لتكن لنا – يارفاقي ياابناء الحياة – هذه الحياة ولنخض عبابها الصخابة ، عباب المباهج والالام والاهوال جميعاً ، بدون وجل ، لنسلك الصراط الى الخلود ، الى الموت في سبيل الخلود بدون تردد ولا وهن ...

٢

يارفاقي ياطلاب الحياة ! لنخض عباب الحياة ولا يرعكم هديرها وعويلها لنسلك سبيل الخلود ممتلئة نفوسنا اغتباطا وثقة بالنور المحتجب المشرق ، بالرسالة الخالدة المتجددة بنفوسنا .. بوجودنا ... بايماننا ... المتجددة بفنائنا وتجددنا حتى اللانهاية .

يقولون لكم يارفاقي : « كل شيء في الحياة باطل والحياة باطل الاباطيل » ... يخيفونكم بالفناء ساعة الرحيل ، يقولون لكم

ذلك ، فلا تجزعوا ولا تهنوا ، فقولهم الباطل وعليهم وزره واثمه . »

لا .. لا .. يارفاقي ليست الحياة باطلا وليس من شيء في الحياة بباطل غير الجهل والخوف والغرور . تلك « غيلان الحياة » الاثيمة ؛ غيلان المعرفة والحقيقة والخير ، والحياة هي ابداً معرفة وحقيقة وخير ، فمن ابتغى الحياة – كما اراد المبدع الازلي – فليبد غيلانها الثلاثة ليظفر بالحياة كاملة سامية ، عادلة رغيدة .

لا .. لا .. يارفاقي ! ليست الحياة باطلا فلنحي للحياة ولنفن للحياة ايضاً . لنحسن تأدية رسالة المعرفة والحكمة والخير ، لنحقق مشيئة الله الازلية فينا كما اراد فاردنا وارتضينا ، فالله هو الوجود الدائم القيوم ابداً وكل ما خلاه صائر اليه .

يارفاقي يا ابناء الحياة ! انشدوا الحياة ولا تقنطوا وضموا عرائسها الى صدوركم وانشقوا عبيرها العابق ، واجرعوا كؤوسها مترعة بالمباهج والمسرات والغبطة مليئة بالمتع الروحية والجسدية العادلة المنظمة ، لان بالجسد والروح معاً يحي الانسان ، وبالنظام والعدل تتقدم الحياة وترقى ، ويبلغ الانسان الكمال المرتقب

٣

يارفاقي ياابناء الحياة – احيوا للحياة وافنوا للحياة ايضاً ولا تجزعوا ، فالحياة خالدة ابداً وخلودها بناوباعقابنا ، خلودها بنا وباحلامنا واَمالنا واماثينا ! واَمالنا اليوم احلام اباثنا من قبل ... واماني احفادنا من بعد ...

لا . . لا . . يارفاقي يا ابناء الحياة ، ليست الحياة باطلا ، فلنحرص على الحياة والبقاء وليست « الانانية » العارفة العادلة باثم ؛ فلنحرص على هذه « الانانية » ولنعش بها ولها ، وليعش كل فرد لنفسه وللوطن وللمجتمع الانساني ، ليدأب « الفرد » لاجل الفرد ولتبق « العائلة » قبلة الفرد الاولى ، و « الامة » قبلة العائلة والفرد ، ثم ليكن المجتمع قبلة للامم المتآخية المتماثلة في حق الحياة

ليبق الفرد حيث تنتهي حدود كيانه الذاتي والعائلي ؛ والوطن حيث تنتهي حدود كيانه القومي ، والانسانية حيث تنتهي او تمتد انوار الحياة على الارض . . !

يارفاقي يابناء الحياة ! ان الحياة للقوي الصبور الجالد والاناني الحكيم العادل فكونوا اقوياء وانانيين وعادلين ، كونوا كذلك واحيوا بالانانيات الثلاث ، عيشوا وافنوا لها تظفروا باليقين والنعمى والكمال .

احيوا للانانيات الثلاث وافنوا فيها ، فتلك مشيئة الازل الخالدة ، مشيئة مبدع الحياة الاول ، ومشيئته لا مرد لها ولا مناص منها ؛ فيها وجودكم واليها معادكم هذا اليقين وليس بعد اليقين من شك .

. . . .

٣٤

الانانيات الثلاث

« الانانية ان يعرف كل كائن نفسه ويؤمن بذاته ويحرص
على حياتها ويلزم حدودها ثم يعمل على انسجامها مع
الذاتيات الاخرى — سواء كانت هذه الذاتيات
فردية ام مجتمعية »

— ١ —

حقاً هذه رسالة النفس الى النفس ، اوحت بها تجارب الحياة وعظاتها ، وابتعثتها مع الروح المستيقظة المتجددة ، تهديها الى الانسان الحائر التائه المفتون لتنقذه من الذهول والفتنة والفناء الوشيك وتعود به الى الرشد والحكمة والحياة المنظمة .

هذه رسالة النفس الحائرة المتشككة — المؤمنة المطمئنة الى اليقين ! بل هذا حديث النفس عن الحياة وليس احب الى النفس في الحياة من حديث النفس ، ولا اثر ابقى لديها من رسالة النفس ، ولا نفثة اروع من نفثاتها وابلغ عمقا فيها وفي المجتمع الحي بشعوره وآلامه ورغباته الفردية والمجتمعية ، المجتمع الحي المتجدد مع الحياة في كل لمحة بصر الدائبة المتجددة ابداً

٢

لاريب ان الفرد يحيى ويتجدد في نفسه ؛ في كيانه الروحي والفكري والشعوري كما يتجدد في كيانه الجسمي - المادي - ، وكذلك يتجدد المجتمع القومي ابدا بتجدد افراده ومقوماته الروحية والمادية كما يتجدد الافراد ، وكذلك يتجدد المجتمع الانساني بتجدد اقوامه وافراده على السواء وفي تجدد الجمعية الانسانية الدائم ، تتجدد الحياة وتخلد وتسير ابداً الى السمو والكمال

فما دام الفرد - اعني الانسان الحي المتجدد - اساس كيان المجتمع القومي والانساني ، ومـا دامت « النفس » سر الوجود الفردي ، اذن فالنفس روح الحياة كلها وروح المجتمعات والافراد ، وفي النفس سر الحياة الاولى والاخيرة ، سر الوجود والبقاء وسر الموت والخلود وعلى الايمـان بالنفس يبنى الايمان بالحياة .

وتزعم انك جرم صغير　　وفيك انطوى العالم الاكبر

٣

والكائن الفرد هو : انا - وانت - وهو - هذه الكائنات الصغرى ، وحدات المجتمع القومي ، والمجتمعات القومية هي حلقات الجمعية الانسانية الكبرى الممثلة للحياة ، ومتى ائتلفت تلك الوحدات الصغرى - متى ائتلفنا انا وانت وهو وانسجمت حياتنا الفردية الخاصة ، في دخائلها ، وتلاءمت بعضها مع بعض ؛ عندئذ يأتلف المجتمع القومي وتنتظم حياته وتنسجم نزعاته ومراميه وانظمته بروح العدل الصحيح ، ومتى انسجمت المجتمعات

القومية المنظمة العادلة انسجمت الجمعية الانسانية وانتظمت ، وبذلك تنسجم الحياة الانسانية طراً ، وتتلاءم تلاؤم النفس مع النفس ، وتتوحد في مختلف الاقوام والوحدات الانسانية وفي سائر مناحي الوجود الظاهرة والخفية ، المعنوية والمادية بلا مراء .

اذن ان لكل فرد نفساً وحياة فردية خاصة ، ولكل نفس « انانية » مستقلة حية ولكل انانية فردية حيزاً في الوجود لابد لها ان تشغله ولكل انانية رسالة في الحياة لا محيص لها عن تأديتها صغرت الرسالة ام كبرت ، اشرقت الشمس ام غربت ، حتى منتهى سير الفلك الدائر .

وبالذاتية الفردية الاولى تبدو الانانية الاولى في الحياة وعلى الانانية الاولى تبنى الانانية الثانية : الانانية القومية ، وبتوحد الانانيات الفردية والقومية المنسجمة العادلة تتجلى « الانانية » الثالثة — اي الانانية الانسانية العامة — وتتكامل وتزدهر ، في افاق سامية رفيعة نبيلة مابرحت تشق طريقها اليها منذ بدء الحياة ، ولا تزال تتسامى نحوها بين مواكب المباهج والاحزان وافواج الضحايا والشهداء والدماء الزكية

٤

فالانانية اذن هي ان يعرف كل كائن نفسه ويؤمن بذاته ويحرص على حياة هذه الذات وبقائها ، ويلزم حدودها ، ثم يعمل على انسجامها وتلاؤمها مع الذاتيات — او الانانيات — الاخرى ، سواء كانت هذه الذاتيات فردية او مجتمعية ، وبذلك

يسود العدل الوجداني الصحيح ، العدل الاسمى ، وبهـذا العدل القويم تتحرر الانسانية ، وتسمو الحيـاة ويتساوى الاحيـاء في حق الحياة .

اما الانانية الحمقاء المجنونة فهي تهدم ولا تبني ، وتميت ولا تحيي. انها تقتل للانتقام ، وتبيد باسم الحقد وتهدم لاجـل الضغينة ثم لاتبني شيئاً ! انهـا تنكر الروح والجسم تنكر الخلق والخالق ثم هي لاتترك من الحياة غير ركام ورماد وغـير دماء وطغاة يستحمون بالدماء ويثملون بالدماء

هذه الانانية المجنونة الآثمة المجرمة ، وتلك الانانيات المنظمـة العادلة ، والنصر الاخير – بـدون ريب – للوجـدان العـادل والانسان العادل والانانية العادلة لان العدل روح الحياة والوجود بـل روح الله والازل ، ولن يفسد الازل رسالته في الحياة ولو كره الجاحدون

٢٨



نشيد النفس

نظم هذا الموشح بحمدون في تموز سنة ٩٣٥

اللازمة

الا هبي فغنيني نشيد الحب يا نفسي
وهاتي الكأس فاسقيني خمور الله والنفس

بنفسي اشرق الحق فلا تسأل متى اشرق
حديث ملؤه الصدق فامن بالسنا واعشق

جحدت الله اعواما لجهلي النفس والحقا
واغفى العقل اياما فساوى الباطل الصدقا

ولما عذت للنفس وعاد العقل يقظانا
عرفت الله بالحس وفاض القلب ايمانا

مزجت تجبي ايماني ففي اليوم قرآني
ولذت بقدس عرفاني فطاب القطف للجاني

غنيت بذاتي عن كل ولم يغن السوى عني
وليس لذاتي من شغل بغير الذات والكون

بنفسي اليوم اولعت كما بي اولعت نفسي
وكأس الحب اترعت فطاب الكأس للنفس

هويت النفس والله هويت الكون اجمعه
ارى بالنفس نور الله وفي الاكوان مطلعه

تجلى الله في الكون وبالنفس اختبا سره
فلا تحفل بذي مين سيظهر في غد امره

اينكرذو حجى نفسه ويحسب انه وهم ؟
ليجحد قبل ذا حسه فلا ينطق ولا يسم..

صبت لله اقوام ولم يدروا حقيقته
فتاهت فيه افهام لهم عقت شريعته

وقوم انكروا خبره فضلوا مثل من آمن
ولو عقلوا لما أمره لكان الكل قد اذعن



الحكيم والانانية

قصة رمزية بقلم المؤلف

١

ضرب الحكيم في فجاج الارض، اربعين عاماً سائحاً منقباً واعظاً: لا حتى الشمس من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق طيلة اربعة عقود من الدهر.

صحب الشعوب الجبابرة، صاخبة ووادعة، وابتلى الرجال والقواد طراً، ودرس عقائد الدنيا والآخرة، حتى احاط بكل خبر عن الاجيال السالفة والحاضرة.

فكان الحكيم العارف الداعية الى «اليقين» الى الخير والتضحية والمحبة في سبيل «الحقيقة الكلية» المجردة عن الاغراض والالوان والاجسام.

مضى الحكيم في طريقه القويم، مضى يكرز ويعظ، يدعو الى «الذات الكلي الاعلى» الى الفناء في «الحقيقة» تمهيداً لانبثاق «الانسان الكامل».

مضى في سبيله القويم لتأدية رسالته ولنشر الحقيقة، طاوياً احشاءه على الجوع والسغب، مقتحماً الاهوال والمجاهل، متخذاً من «نفسه»

مصباحاً لينير الظلمات ويبث روح المعرفة والتمرد ، ويحقق عهد الخلاص الابدي ، للاسارى والمحرومين والمتعبين من ابناء الجهل والخوف

مضى الحكيم ، وهذا الحلم الرائع وهذه الرسالة الشاقة ، يملآن نفسه نوراً وايماناً وقلبه قوة وجلداً على اقتحام الموت في سبيل الحق

٢

مر الحكيم في اثناء طوافه بقزم صغير وضيع كان ابناً لصياد بحري ؛ وقد عق اباه فاراد قتله واخفق ، ثم فر منه مقسماً ان لا يعود بغير « تاج الملك » و « صولجانه » منتقماً بذلك لنفسه ولحظه من ابيه الذي ولده ، ومن القدر الذي خلقه اذ اراد خلقه – : قزماً حقيراً وضيعاً ...

وكان القزم يطوف اطراف البقاع الآهلة ، حذراً خائفاً ؛ خائفاً كل شيء حتى الموت ، وصدره ما يفتأ يغلي كالمرجل وقد ثارت فيه وملكته ثلاث شهوات قاتلة : شهوة الملك ، وشهوة السيطرة ، وشهوة الانتقام !

اشفق الحكيم على القزم المفتون واراد انقاذه من جحيم نفسه ، من شهواته الثلاث ، وهدايته الى الحقيقة الكلية الى الوجود الاسمى وكانت التجربة عجيبة حقاً ، وكان مولودها اكثر عجباً ...

لقد ارتدى القزم سريعاً ثوب الحكمة وخلع على معلمه الحكيم ثوب القزم فغدوا كلاهما : مولوداً عجيباً بين الناس !

لزم الحكيم المعلم صمته المهيب في هذه المحنة معتمداً على سمو الحكمة وقوة الايمان مرتقباً حكم الزمن المقبل ، مرتضياً بمنقلبه

الزري ؛ واثقاً ان الثوب الذي خلع عليه وهو ثوب قزم ، لايستطيع حجب « الحقيقـة » المضيئة ولا ابادة « الفكرة » الثـائرة ولا وأد « الحياة » الخفاقة . . .

٣

صمت الحكيم العارف ، بيد ان القزم المتسربل بثوب الحكمة كان ما يبرح مجداً في خداع نفسه ، وخداع الجماهير اللاهية ، كان ما تزال « انانيته » الحمقاء المجنونة تلتهب وتلتهب وتلتهب ويمتد لهيبها ويستفحل خطرها . . .

كان ما يزال يتابع مهازله والاعيبه على مسرح الحياة الصاخبة السئيمة ، لدى جماهير النظارة ليصرف بصرهم عن الحكيم - المعلم الاول — وليجعلهم يلهون به دونه ؛ تحقيقاً لشهواته الثلاث المستعرة واشباعاً لانانيته الملتهبة المتعطشة الى الدماء . . .

ظل القزم يطلع وراء شهواته مستميتاً مجداً ، مع لماث الزمن ، لاستفزاز المظلوم والمحروم والمبتلى والمقصـد ؛ ليجعل من هؤلاء مدرج ملكه المنشود ومرقى عرشه المقصود ، وثمن تاجه الألي ؛ وليتخذ منهم اشلاء وضحايا يطعمها جحيم انتقامه المسعرة

استمات في سبيل استفزازهم حتى تمكن من تنفيذ مأربه اذ خدعهم في انفسهم وفي نفسه ، وجعلوه ملكا على الارقاء والضعفاء ومعبوداً لهم بل نصبوه عليهم طاغية . .

اجل لقد خلع القزم ثوب الحكمة أخيراً وارتدى قفاز الطغيان برغم ضعفه وبرغم جبنه وبرغم ضئالة نفسه — لقد اصبح « طاغية »

ومشى يبتغي احتكار « الملك » لنفسه والاستئثار « بالسيطرة » وتحقيق وعد « الانتقام »

اراد هذا وابتغاه كله باسم الجماهير والدهماء وباسم الحكمة والحرية والعدل ، بل باسم الغاء الملك وهدم السلطان وتجبع الشهداء الاحرار وطالما بعدت الشقة بين الدهماء والحكمة والعدل والحرية !

٤

شاء الزمن واستطال القزم على ابيه الصياد فجعل نصيبه النطع على المقصلة ، لخلقه ذاك الانسان القزم ...

ثم استطال على الحكيم فحجر على حريته ، وجعل السجن مقامه ، لانه علم القزم ما لم يعلم وغره بنفسه وتركه يطغى على العبيد والضعفاء والمحرومين باسم المحرومين والدهماء ..

وقبع الحكيم في سجنه ذاهلا مشدوها وكثيراً ما حاول ان يحاسب نفسه بنفسه وطالما كان يسائل نفسه :

ترى هل اقترفت الاثم ؟ هل اسأت تأدية الرسالة ؟ هل خنت عهد الحكمة في تخليص المسكين الضعيف المحروم وتثقيفه ونصرته ؟ هل نقضت ارادة « الحقيقة الكلية » الملهمة الخير والعرفان والمحبة والتضحية

ندم الحكيم العارف واوشك مراراً ان يجحد نفسه وعرفانه ووجوده ... وان ينكر كل وجود وحقيقة وفضيلة عرفها او اوحي بها اليه .

وادرك الازل ارتياب الحكيم الاسير وحيرته وخشي ان يؤدي

شكه المستمر الى اندثاره وقنوطه المميت ، فأبى الا ان ينقذه ويعيد الحياة الى سيرها المقدور الاول وتطورها المتدرج

٥

قلب الزمان دولابه فجأة فصرع الطاغية القزم ، واطلق الحكمة ثانية من اسارها ، وابتعث الاحياء الاموات من رموسها ، فاستأنفت الحياة عهدها على الارض وعاد يدب الانسان والحيوان والدواب والطيور والهوام ، كل يسعى الى عمله ورزقه المستحق ؛ وعاد النبات يورق ويزهر ، والجماد يحيي ويتصدع فينفجر منه الماء ، ومن الماء كل شيء حي !

وانطلق الحكيم الى استئناف رسالته الاولى ضاربا في مسالك الارض ممعناً النظر في مشاهد التجربة التي اثارتها « الانانية » الحمقاء آسفاً على ضحاياها واشلائها

حزنت روحه لهذه الضحايا وامتلأت كمداً ، غير ان صوتاً مبهما غامضاً انبثق في دخائل نفسه ، انبثق من صميم الطبيعة الراشدة ، من خفايا العوالم الحافلة بالحياة والاحياء .

وظل الصوت يهتف باناة وتأكيد بالغين عميقين :

— « ايها الحكيم ! لقد حاولت ابادة الانانية في النفوس ، ولقد اردت — اذ اردت هذا — باطلا ودعوت محالا ، وعبثاً تفكر فيما لا يكون .

ايها الحكيم انك بمحاولتك ابادة الانانية لتحاول ان تقتل المواهب المبدعة والطموح الخارق والقوى الحية في الذات ، انك

لتقتل الغرائز والنزعات ... تقتل الفن والحكمة ... تقتل روح الامـل والنضال في سبيل الحياة والتطور ... انك لتقتل روح الهدم والبناء ... روح العمل والتجدد والتقدم .

انك بمحاولتك ابادة الاثانية لتحاول ان تبيد الحياة والاحياء جميعاً. انك تنقض ارادة الله ، الذات الكلي وتهدم الحقيقة المجردة وارادة الله لاتنقض ولا ترد ، والحقيقة لاتفنى ولا تبيد ...

ان الله اراد « الحياة » للناس فكانت الحياة ، واراد « الاثانية » فكانت الاثانية ، ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة !

ايها الحكيم ! اذن لتمض الى اداء رسالتك ولكنك لا تجحد ارادة الله ولا تشرك به احداً في خلقه ، ولا تنقض مشيئته في الحياة . فالحياة ابداً تنوع وتطور وجهـاد وآلام وموت وانبثاق ، والوجود وحدة لاتنفصم حلقاتها وروح الوجود والحياة : الاثانية ! »

.....

اجل : ان الاثانية سر من اسرار الروح الكلي ، أنها تخفق في كل حيّ وكل كائن ، ولن تبيد الا ان يبيد الاحياء طراًوتندثر الحياة !!...

٣٧

الخاتمـــــة

« ان لله رجالا اذا ارادوا اراد »

اعتاد سواد الناس في الشرق العربي – وربما في غير هذا الشرق ايضاً – ان يتطيروا من كلمة « انا » ويخشوها خشيتهم الجحيم ، وكثيراً ما يتنادون جهاراً وبحرارة ملتهبة ؛ عند مطلع كل حديث عن انفسهم هذا النداء : « الله يعيذنا من كلمة انا » كانما هذه الكلمة عندهم « محرقة النفس » في الدنيا ؛ كل من لفظها لسبب او لغير سبب ، هلك هلاكا لا منجى له منه الا ان يشاء الله . . .

وكذلك اعتاد اولئك الناس ان يعرفوا « الانانية » بانها حب الاثرة . وتفضيل النفس على الغير ، تفضيلا ربما بلغ حداً استساغ فيه صاحبها ابادة الغير ، لاستبقاء النفس الانانية ، او لاجل ترفيه العيش وتوفير الرغد لديها ؛ وفي ذلك جريرة لا تمحي ولا تغتفر .

واحسب أنني في هذه الرسالة الموجزة قد استطعت ان اعلم الناس ترديد كلمة « انا » مئة مرة في كل يوم بدون وجل ، واحسب انني قد دللتهم على معنى جديد للانانية ، هم جد جديرين بالتمعن وانعام التفكير فيه وبالتعويل عليه في شرح هذا « السر الازلي » العميق ، وتفصيل فوائده وآثاره في الحياة ، وهو سر الانانية الانسانية الحية

ان هذا السر أو الروح الازلي الخفي – اعني روح الانانية الذاتية – هو الذي اوحى الي بهذه الرسالة ، فقد كتبت فصولها المتفرقة اولا

في ظروف متفاوتة ، ولمناسبات متباينة، رغبة في ترضية نفسي وشعوري فحسب ؛ ثم نشرت هذه الفصول في الصحف وجمعتها في هذا الكتاب لانني رأيت من واجبي ، او بالاحرى رأيت من حق « اناتيتي » علي، ان اعلم الغير ما علمت ؛ وان من دواعي اغتباطي الذاتي ، ومن ميزات الايمان بالنفس ، ان احمل الى الناس ما بلغته من معرفة ويقين، وبذلك اكون قد خدمت نفسي وفكري ويقيني اضعاف ما خدمت غيري ، عدا ما ينيء به الغير على ناشر المعرفة من ثقة وتأييد وشد ازر في الرأي والعمل .

اما غايات هذه الرسالة فقد رأى القارىء المتتبع لفصولها ، انني كشفت في القسم الاول منها – في اعماق اليأس والشك – عن صورة قاتمة للقنوط والجحود ، استطيع القول عنها انها لا بد ان تكون مرت او ستمر بنفس كل انسان ، وفي نشر هذه الصورة الاليمة تهوين على النفس القانطة فيما اعتقد ، وتلطيف لداء الجحود واليأس الوبيل ؛ ومثار للتفكير والبحث عن اسباب العلاج الناجع له

وفي القسم الثاني من الرسالة يشهد القارىء تطوراً في الشعور والتفكير بيناً ، ثم يقع على دعوة حارة الى البحث عن النفس ثم الى الايمان بالخالق المبدع والذات الانسانية والحياة التي حباها الله للنفس في خلقه لها ، وذلك باسلوب يمزج بين المنطق والعقل والعاطفة ويمتاز بكثير من الشعور الوجداني ، حيث يغدو الانسان بعد هذا الايمان ، يشعر بمنتهى الغبطة والبهجة في الحياة

وهذا الايمان بالذات والحياة اريده لكل انسان على الاطلاق ، ليعتقد

كل انسان بنفسه وفكرته اعتداداً مشروعاً لا كبر فيه ولا غرور، وليعلمه هذا الاعتداد الحرص على وجوده وعلى حقه في الحياة، وليحمله على الدأب والكفاح لاجل الحياة والبقاء، فان آمن الانسان بنفسه وحقه في الحياة ولم تكن له فكرة خاصة يبدعها وتسيره في الحياة مع افراد المجتمع القومي والانساني، حق عليه ان يتعلم من ذوي المعرفة والعلم وان يأخذ باراء المفكرين المبدعين ويوآزرهم بما تفرضه عليه روح النظام والتعاون الاجتماعي من مؤازرة وبذل وتضحية

ولا مراء ان النظام الاجتماعي العادل هو قوام الحياة الاول، وهذا النظام ينبغي ان يصون لكل فرد كيانه الذاتي وحريته في التفكير والعمل والانتاج، على شرط ان لا يمطل ذلك من مصلحة المجموع شيئاً ثم ينبغي ان يصون لكل امة كيانها القومي وسيادتها وحريتها الصحيحة، ضمن مصلحة المجتمع الانساني العام، حيث تتماثل عندئذ حقوق الافراد والامم على السواء.

ان في الغرب والشرق دعوات شتى الى نظم جديدة متنوعة، منها الاشتراكية والشيوعية والفاشستية والنازية وغيرها، ولكن جميع هذه النظم على اختلاف مبادئها ومظاهرها، لن تفيد المجتمع في شيء، مادامت تقوم على اساس السيطرة الفردية والارهاق الدموي الفظيع للمجموع، وما دامت هذه المبادىء لم تتخذ من تثقيف الفرد الانساني وتحريره ومن تهذيب وجدانه الذاتي ومن ايمانه بنفسه وعقله اساساً للنظام العام القويم.

واقول بكلمة اخرى اكثر وضوحاً وصراحة : ان جميع

النظم والمبادىء والعقائد لاقيمة حقيقية لها ولا فضيلة فيها الا بقدر ماتعود به من خير مشترك ونفع عام على جميع افراد الأمة او على الاكثرية المحرومة منهم – على اقل تقدير – وان هذه المنفعة العامة لايستطيع ان يحققها للمجموع سوى افراد مثقفين متحررين منعتقين من كل نعرة او مطمع او حسد او حقد ، مؤمنين بانفسهم : أنانيين اقوياء عادلين ، على ان تكون انانيتهم اجتماعية صرفاً تستغرق انانية المجتمع كله ، وان تكون قوتهم مستمدة من انفسهم ومن ثقة المجتمع بهم معاً ؛ وان يكون عدلهم مبذولا لتساوي جميع ابناء الامة – او الانسانية – على الاطلاق ، ولتهذيبهم واصلاح نفوسهم وتنظيم امور حياتهم الاقتصادية والاجتماعية على اساس نظام عام يضمن حياة جميع الافراد وموارد رزقهم وحرياتهم وأمنهم واطمئنانهم الى الحياة والعمل.

ولاجل تحقيق هذه الغاية يجب ان نفتش عن قواد صالحين لاداء هذه المهمة : قواد أنانيين اقوياء عارفين عادلين ، يصدق فيهم الحديث النبوي الكريم : « ان لله رجالاً اذا ارادوا اراد » فان في هذا الحديث كل الانانية والحكمة والقوة والعدل ، وبه ميزان الرجال العاملين الحق، وبالرجال توزن الامم فتغلو او ترخص ؛ وبالرجال تتقدم الحياة الامام وترقى ثم ترقى الى السمو والكمال.

– أنتهى –

اخطاء مطبعية

وقعت بضعة اخطاء مطبعية في الكتاب ندرجها هنا مع تصحيحها ليصححها القارىء بالقلم :

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
اكثر الناس	اكثر المتحررين	٤	١٣
نحو النمو	نحو السمو	٥	١٧
النظام	النظم	١١	٤
احي	احيي	١٣	١١
المظاهرة	المظاهر	١٦	١٢
النعمي	النعمى	٢٣	١٢
الدائمة المتجددة ابداً	الدائمة المتجددة ابداً في كل لمحة بصر	٢٤	١٦
ولكنك	ولكن	٣٦	٩
الحياة الامام	الحياة الى الامام	٤٠	